السّيرةُ النّبويّة للبراعم

(١٦)

تَعْذِيْبٌ وَ ثَبَاتٌ!!

الدكتور
محمد عمر الحاجي

الطبعة الأولى

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق .

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع
www.almaktabi.com

سورية ـ دمشق ـ حلبوني ـ جادة ابن سينا
ص.ب ٣١٤٢٦ ـ هاتف : ٢٢٤٨٤٣٣ ـ فاكس : ٢٢٤٨٤٣٢
e-mail: almaktabi@mail.sy

لِمَاذَا وَقَفَ العَرَبُ

ضِدَّ الرِّسَالَةِ الخَاتِمَةِ ؟

تَعَالَوا يَا أحِبَّتِي البَرَاعِمَ لِنَرَىٰ مَا هِيَ الأَسْبَابُ الَّتي دَفَعَتْ عَرَبَ العَصْر الجَاهِلِيِّ لِيَقِفُوا ضِدَّ دَعْوَةِ الإِسْلامِ .

في البِدَايَةِ كَانَ المُشْرِكُوْنَ يَهْدِفُونَ إلىٰ الكَسْبِ المَادِّيِّ ، خَاصَّةً وَأَنَّهُم تَأَثَّرُوا بِاحْتِرافِهِم التِّجَارَةَ ، لِذَلِكَ فَضَّلُوا تَقْلِيْدَ الآبَاءِ ، وَمَالُوا إِلىٰ حَيَاةِ التَّرَفِ ، وَنَحْوِ ذَلِكَ . قَالَ الله تَعَالىٰ في مَعْرِضِ تَصْوِيْرِ أمُوْرِهم : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ

أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾[1].

وَبِالتَّالِي فَقَدْ كَانَتْ مُشْكِلَةُ تَغْيِيرِ نَمَطِ حَيَاتِهِمْ أَمْرَاً صَعْبَاً ، وعَسِيْرَاً ، وَإلا فكيف يَتْرُكُون الخَمْرَ ، وَقَدْ رَبَطُوهَا بِمَسْأَلَةِ الرِّزْقِ وَالمَعِيْشَةِ ؟!.

كَمَا قال الله تعالى : ﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[2].

وَكَيْفَ يُؤَدُّون الزَّكَاةَ الَّتِي فَرَضَها الله تَعَالىٰ ، وَهُمْ قَدِ انْغَمَسُوا في الرِّبا ؟!

---

(١) سورة لقمان : ٢١ .

(٢) سورة النحل : ٦٧ .

كَمَا قال اللهُ تَعَالى : ﴿ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴾ (١) .

وَلِذَلِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا بِالغَيْبِيَّاتِ ، وَإِنَّما انْحَصَر إِيْمَانُهُم بِالأُمُورِ المَلْمُوسَةِ ، فَصَوَّروا الآلِهَةَ بِالخَشَبِ والحِجَارَةِ ، واسْتَبْعَدُوا وُجُوْدَ يَوْمِ الآخِرَةِ ، وَأَنْكَرُوا الجنَّةَ ، والنَّارَ ، قَالَ تَعَالى :

﴿ ۞ وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ (٢) .

وَهَذَا مَا جَعَلَهُمْ يَقِفُوْنَ مِنَ الرِّسَالَةِ الخَاتِمَةِ ،

---

(١) سورة الروم : ٣٩ .

(٢) سورة الرعد : ٥ .

وَمِنَ الرَّسُولِ الخَاتَم ﷺ مَوْقِفاً عدَائِياً ، فَقَالُوا بِاسْتِهْزَاءٍ كَمَا نَقَل البَيَانُ الإلهِـيُّ عَنْهُمْ :

﴿ وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۙ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ۚ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴾[1] .

وَكَذَلِكَ فَقَدْ لَجَؤوا إلى المَزِيْدِ مِنَ التَّمَسُّك بِالأصْنَامِ!!

﴿ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا

---

(١) سورة الفرقان : ٧ ـ ٨ .

أَخِلَّاءُ ﴿٧﴾ أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا ۚ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِى ۖ بَل لَّمَّا يَذُوقُوا۟ عَذَابِ ﴾[1].

* * *

(١) سورة ص : ٦ ـ ٨ .

السُّخْرِيَةُ... والاسْتِهْزَاءُ!!

فَمَاذَا فَعَلَ المُشْرِكُونَ مَعَ المُصْطَفىٰ ﷺ وَالمُسْلِمِيْنَ مَعَهُ ؟!

لَقَدْ لَجَؤوا إلى الإيْذَاء والسُّخْرِيَةِ والاسْتِهْزَاءِ .

وَلَوِ اطَّلَعْنَا أَيّها الأَحِبَّةُ البَرَاعِمُ عَلَىٰ بَعْض النَّمَاذِجِ ؛ لَوَجَدْنَا أَمْراً عَجَباً!!

... فَكَانُوا يَطْرَحُونَ أَمَامَ بَيْتِ النَّبِيِّ ﷺ القَاذُورَاتِ وَالفَضَلاتِ ، حتَّىٰ أنَّه كَانَ يَقُولُ : « كُنْتُ بَيْنَ شَرِّ جَارَين ، بَيْنَ أَبي لَهَبٍ ، وعُقْبَةَ

ابْنِ أَبي مُعَيْطٍ ، إِنْ كَانَا لَيَأتِيَانِ بِالفُروثِ فَيَطْرَحَانِهَا عَلَى بَابي » .

وَكَانَ صَلَواتُ الله عليه إِذَا خَرَجَ ، وَرَأىٰ ذَلِكَ ، قَالَ : « يا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ أيُّ جِوَارٍ هَذَا ؟ » .

أَمّا عَمُّه أَبُو لَهَبٍ ، فَكَانَ مَعَ زَوْجَتِهِ أُمِّ جَمِيْلٍ يَحْمِلانِ لِوَاءَ الإِيْذَاءِ اليَوْمِيِّ للرَّسُولِ ﷺ!!

فَكَانَ أَبُو لَهَبٍ يَجْلِسُ فِي المَجَالِسِ العَامَّةِ فَإِذَا مرَّ الرَّسُولُ صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلامُهُ عَلَيْهِ ؛ نَادَاهُ وسَخِرَ مِنْهُ أَمَامَ النَّاسِ ، وَسَأَلَهُ أَسْئِلَةً تَعْجِيْزِيَّةً و...!

وَأَمَّا زَوْجُهُ فَكَانَتْ تَحْمِلُ الشَّوْكَ ، فَتَطْرَحُهُ عَلَىٰ طَرِيْقِ الرَّسُول ﷺ ، وَكَانَتْ تَهْجُوهُ بِشِعْرِهَا... !! مِثَالُ ذَلِكَ قَوْلُها :

مُـــذَمَّمَـــاً عَصَيْنَـــا

وَأَمْـــــرَهُ أَبَيْنَـــــا

وَدِيْنَـــــهُ قَلَيْنَـــا

وَكَـانَ الـرَّدُّ القُـرْآنِـيُّ حَـاسِمـاً وَإِلـىٰ قِيَـامِ السَّاعَةِ : ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾[1].

وَأَمَّا أَبُو جَهْلٍ فَكَانَ يَهْزَأُ بِرَسُوْلِ الله ﷺ وَمَا جَاءَ بِهِ مِنَ الحقِّ ، وَكَانَ يَجْلِسُ أَمَامَ النَّاسِ وَيَقُوْلُ بِكُلِّ تَبَجُّحٍ :

يَا مَعْشَرَ قُرَيشٍ! يَزْعُمُ مُحَمَّدٌ أَنَّ جُنُودَ الله

---

(١) سورة المسد : ١ـ٥ .

الَّذِيْنَ يُعَذِّبُونَكُم في النَّارِ وَيَحْبِسُونَكُم فِيْها تِسْعَةَ عَشَرَ ، وَأَنْتُم أَكْثَرُ النَّاسِ عَدَداً ، وَكَثْرَةً ، أَفَيَعْجِزُ كُلُّ مِئَةِ رَجُلٍ مِنْكُمْ عَنْ رَجُلٍ مِنْهُم ؟!

فَأَنْزَلَ الله تَعالىٰ قَوْلَهُ : ﴿ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾[1] .

* * *

(١) سورة المدثر: ٣١ .

العُنْفُ... . والتَّعْذِيْبُ

لَـٰكِـنْ يَـا أَحِبَّتِـي البَـرَاعِـمَ : هَـلْ اكْتَفَـىٰ المُشْرِكُوْنَ بِالاسْتِهْزَاءِ وَالسُّخْرِيَةِ ؟!

أَبَدَاً! إِنَّمَا لَجَؤُوا إِلىٰ مَا هُوَ أَشَدُّ ، حَيْثُ اتَّخَذُوا أُسْلُوبَ العُنْفِ وَالتَّعْذِيْبِ ، وَمِنَ الأَمْثِلَةِ عَلىٰ ذَلِكَ :

... لَمَّا أَسْلَم عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ رَضِيَ الله عَنْهُ ؛ أَخَذَهُ عَمُّهُ الحَكَمْ بْنُ أَبِي العَاصِ ، فَأَوْثَقَهُ رباطاً وَقَالَ : أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ آبَائِكَ إِلىٰ دِيْنٍ مُحْدَثٍ ؟!

وَالله! لاَأَحُلُّكَ أَبَدَاً حتَّىٰ تَدَعَ مَا أَنْتَ عَلَيْهِ مِنْ هَذَا الدِّيْنِ .

فَقَالَ عُثْمَانُ : وَاللهِ! لاَ أَدَعُهُ أَبَدَاً ، وَلاَ أُفَارِقُهُ!

... وَكَانَ أُمَيَّةُ بْنُ خَلَفٍ يُخْرِجُ بلالَ بْنَ رَبَاحٍ رَضِيَ الله عَنْهُ إِذَا حَمِيَتِ الظَّهِيْرَةِ ، فَيَطْرَحُهُ عَلَىٰ ظَهْرِهِ في بَطْحَاءِ مَكَّةَ ، ثُمَّ يَأْمُرُ بالصَّخْرَةِ العَظِيْمَةِ ، فَتُوْضَع عَلىٰ صَدْرِهِ ، ثُمَّ يَقُولُ لَهُ : لا تَزَالُ هَكَذَا حَتَّىٰ تَمُوْتَ ، أَوْ تَكْفُرَ بِمُحَمَّدٍ ، وَتَعْبُدَ اللاَّتَ ، وَالعُزَّىٰ .

بَيْنَما كَانَ بِلالٌ يُرَدِّدُ : أَحَد... أَحَد!!

.. وَكَانَتْ بَنُو مَخْزُومٍ يَخْرُجُوْنَ بِعَمَّار ، وَبِأَبِيْهِ يَاسِرَ ، وَأُمِّهِ سُمَيَّةَ رَضِيَ الله عَنْهُم ، وَذَلِكَ إِذَا حَمِيَتِ الظَّهِيْرَةُ ، يُعَذِّبُوْنَهُمْ بِرَمْضَاءِ مَكَّةَ ، فَيَمُرُّ بِهِمْ رَسُولُ الله ﷺ ، فَيُطَمْئِنُهُمْ بِقَوْلِهِ :

« صَبْرَاً آلَ يَاسِرَ فَإِنَّ مَوْعِدُكُمُ الجَنَّةَ » .

وَذَاتَ يَوْمٍ ، وَبَيْنَمَا كَانَ أَبُو جَهْلٍ يُشْرِفُ عَلَىٰ تَعْذِيْبِهِمْ ، غَاظَهُ مَدَىٰ تَحَمُّلِهِمْ وَصَبْرِهِمْ ، فَانْقَضَّ عَلَىٰ سُمَيَّةَ ، فَطَعَنَها بِحَرْبَةٍ ، فَسَقَطَتْ شَهِيْدَةً في سَبِيْلِ الله...

أَجَلْ يَا أَحِبَّتِي البَرَاعِم ، لَقَدْ عُذِّبَ الرَّعِيْلُ الأَوَّلُ عَذَاباً لاَ تُطِيْقُهُ الجِبَالُ الرَّواسِي ، فَذَلِكُم خَبَّابُ بْنُ الأَرَتِّ بَقِيَتْ آثَارُ التَّعْذِيْبِ عَلَىٰ ظَهْرِهِ حتَّىٰ مَاتَ!

وَذَلِكُمْ صُهَيْبُ بْنُ سِنَانَ عُذِّبَ في مَكَّةَ مَرَّاتٍ عَدِيْدَةٍ ، وَكَانُوا لاَ يَدعُوْنَهُ حتَّىٰ يَغِيْبَ عن الوَعْي! وَذَلِكُمْ خَالِدُ بْنُ سَعِيْدٍ كَانُوا يَخْلَعُونَ عَنْهُ مَلابِسَهُ ، وَيَضَعُونَهُ في صَحْراءِ مَكَّةَ ، وَيَمْنَعُونَ عَنْهُ المَاءَ أَيَّاماً!

كُلُّ هَذَا يَدْفَعُنا إلى مَزِيْدٍ مِنْ تَوْقِيْرِهِمْ ، وَاحْتِرَامِهِمْ ، والتَّرضِّي عَنْهُمْ ، فَهُمْ أَسَاسُ هَـٰذِه الدَّعْوَةِ ، فَرَضِيَ الله عَنْهُم وَأَرْضَاهُمْ .

وَآخِرُ دَعْوانَا أَنِ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ

* * *